ندوة الغزو الثقافي الامبريالي الصهيوني

الغزو الثقافي الامبريالي الصهيوني وسياسة تطبيع العلاقات مع مصر

د. رضوى عاشور

بدأ التمهيد لما نحن عليه الآن في مصر من تبعية للغرب الامبريالي والكيان الصهيوني منذ الأيام الأولى لانقلاب مايو ١٩٧١ ، تم نقل عدد من الكوادر الاعلامية ثم بدأ اقصاء المثقفين الوطنيين والديمقراطيين عن مراكز التأثير الاعلامي وأغلقت المنابر الثقافية الجادة واحداً تلو الآخر . بعد ذلك تتالى ظهور المسرحيات والأفلام والكتب والمقالات التي تعلن بيانات العهد الجديد . وكانت الأرضية تعد لربط البنية الاقتصادية بالرأسمالية العالمية وتفكيك المؤسسات الوطنية واقتلاع مصر من موقعها في حركة التحرر الوطني .

إذن فالمسافة بين القاهرة في منتصف الستينيات والقاهرة في منتصف السبعينيات ليست فقط هي تلك التي تفصل بين سلطتين في الحكم احداهما وطنية والأخرى تخون ، ولكنها أيضاً هي المسافة بين مناخين ثقافيين يساعد كل منهما على استتباب السلطة القائمة . ولما كانت سلطة مايو ذات طبيعة طفيلية يرتكز وجودها على النهب والاثراء الفاحش في اغماضة عين فلقد اخذت تفرز ما ينسجم مع طبيعتها من فكر رث وقيم هدامة وفن هابط وراحت تنقض على أية قيم ايجابية بدءاً من المنطلقات النضالية للشعب المصري وانتهاء بقيم العمل والشرف والامانة والاجتهاد . وعلى هذه الأرضية ، أرضية تشويه وطمس كل السمات الايجابية في الثقافة الوطنية سوف تلتقي السلطة الطفيلية مع حليفتيها الامبريالية والصهيونية .

المعاهدة وشرط التعاون الثقافي

في ٢٦ مارس ١٩٧٦ تم توقيع معاهدة « السلام » بين مصر واسرائيل التي تنص على انهاء حالة الحرب بين البلدين واقامة علاقات طبيعية بينهما تتضمن « الاعتراف الكامل والعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية وانهاء المقاطعة الاقتصادية والحواجز ذات الطابع التمييزي المفروضة ضد حرية الانتقال والسلع » . وتنص مواد الملحق رقم ٣ « بروتوكول بشأن علاقات الطرفين » على اقامة علاقات دبلوماسية واقتصادية وتجارية وثقافية وضمان حرية النقل البرّي والبحري والجوي واقامة طريق برّي بين البلدين وطرق سكك حديدية ووسائل اتصالات بريدية وبرقية وتلفونية ، والتعاون في سبيل التنمية وحسن الجوار[1] .

وتنفيذاً لما جاء في المعاهدة شكلت لجان « للتطبيع » للاعداد لعقد اتفاقيات تعاون في مختلف المجالات المشار اليها . ولقد تم في النصف الأول من العام ١٩٨٠ توقيع تسع اتفاقيات للتعاون في مجالات الزراعة ، والتربية والثقافة والعلوم ، والتجارة ، والصناعة ، والسياحة ، والنقل الجوي ، والمواصلات البرّية والبحرية ، وتبادل الشبيبة ، واتفاقية طيران واخرى خاصة بتزويد اسرائيل بالنفط .

وكان من أبرز ما نصت عليه هذه الاتفاقيات حرية مرور البضائع بين البلدين ، واقامة المراكز التجارية والاشتراك في المعارض والأسواق ، واصدار رخص الاستيراد ، وتبادل الوفود والخبراء والمطبوعات ، والتعاون في مجالات البحث التطبيقي واقامة المشروعات المشتركة ، والسماح لمواطني الدولتين بحرية التنقل عبر الطرق البرية والبحرية والجوية ، وتسيير ثلاث رحلات طيران اسبوعية لكل من شركتي العال ونفرتيتي (انشئت هذه الأخيرة خصيصاً لتفادي المقاطعة العربية لمصر للطيران في حالة قيامها برحلات الى اسرائيل) وتزويد اسرائيل بمليوني طن من النفط المصري سنوياً .

ولما كان قبول المصريين بوجود اسرائيل والنظر إلى التعاون معها كأمر « طبيعي » هما الضمان لاستمرار واستقرار كافة اشكال التعاون الأخرى ، الاقتصادي منها والسياسي ، فلقد

حظيت مسألة التطبيع الثقافي بقدر كبير من الاهتمام فنصت المادة الثالثة من « بروتوكول بشأن علاقات الطرفين » المشار اليها سالفاً على ضرورة ان « يتفق الطرفان على أن التبادل الثقافي في كافة الميادين أمر مرغوب فيه وعلى أن يدخلا في مفاوضات في أقرب وقت ممكن وفي موعد لا يتجاوز ستة أشهر بعد اتمام الانسحاب المبدئي بغية عقد اتفاق ثقافي» كما نصت المادة الخامسة على ضرورة « تنمية علاقات حسن الجوار » و « انماء السلام والاستقرار » في المنطقة والعمل « على تشجيع التفاهم المتبادل والتسامح » وان « يمتنع كل طرف عن الدعاية المعادية للطرف الآخر » .

وفي ٨ مايو ١٩٨٠ تم توقيع اتفاقية التعاون في مجال التربية والثقافة والعلوم في مبنى الاذاعة والتلفزيون بالقاهرة . ولم تنشر هذه الاتفاقية في أية جريدة مصرية ولم تعرض على مجلس الشعب كما أعلن ساعتها وضربت عليها سرية كاملة . وكتبت جريدة **دافار** الاسرائيلية في ٨٠/٦/٢ أن هذه الاتفاقية تتضمن « اسس الاتصالات وتبادل الزيارات بين خبراء الدولتين في حدود الثقافة والفن والتقنية والعلوم والطب ، وتبادل المطبوعات والمكتشفات الأثرية واقامة المعارض والبرامج الاذاعية والتلفزيونية والافلام الثقافية والعلمية ، ومعادلات الشهادات والالقاب العلمية وتبادل وفود الشباب والوفود الرياضية ومدة الاتفاقية خمس سنوات قابلة للتجديد »[٢] .

ولم تنتظر اسرائيل عقد هذه الاتفاقية لكي تنشط في الاعداد « للتطبيع » فراحت المؤسسات ومراكز الأبحاث تدرس مختلف جوانبه وتعد تصوراتها لامكاناته ومساراته وتقيم الندوات لمناقشته . وظهرت دراسات عن الموضوع كتلك التي نشرها معهد فان لير في القدس **اذا جاء السلام . . . اخطار واحتمالات** التي تضم مجموعة من الابحاث لكتّاب اسرائيليين وتفرد فصلين لقضية التعاون في مجالات الثقافة والتعليم والعلوم يتضمنان مناقشة « اشاعة قيم السلام » عبر اعادة النظر في المناهج التعليمية واعادة تقييم الحقائق التاريخية وتبادل العلماء وتكوين مجموعات بحث مشتركة[٣] .

وما ان تم توقيع المعاهدة حتى انهال على مصر سيل من كبار الباحثين والخبراء والكتاب والفنانين الاسرائيليين . جاء أبا ايبان وزير خارجية اسرائيل السابق ومترجم **يوميات نائب في الأرياف** ، ويائيل دايان الروائية الاسرائيلية وييغال يادين نائب رئيس الوزراء السابق الذي قدم كعالم آثار ، وايلي ريخس مدير معهد شيلواح التابع لجامعة تل أبيب وايتامار رابينوفتش رئيس دائرة تاريخ الشرق الأوسط في المعهد وحاييم شيكو عميد كلية العلوم الانسانية . ولقد زار هؤلاء الاكاديميون مصر لبحث امكانيات التعاون في مجال الدراسات المتعلقة بالشرق الأوسط كذلك زارها شمعون شامير المتخصص في الدراسات العربية ومناحيم ميلسون استاذ الأدب العربي في جامعة القدس ويوسف تكواع رئيس جامعة بن غوريون على رأس وفد من الجامعة .

كما تم التنسيق بين كليات الطب في جامعتي القدس وبئر سبع في اسرائيل وبين جامعة عين شمس في مصر بهدف اجراء ابحاث علمية مشتركة للقضاء على مرض حمو النيل وذكرت جريدة **هاآرتس** التي أوردت الخبر في ١٩٨٠/١١/١٢ انه تم تمويل هذه الأبحاث من قبل الحكومة الامريكية التي خصصت لذلك ما قيمته ٦ ملايين دولار[٤] .

وكتبت جريدة **يديعوت إحرونوت** الاسرائيلية في ٨٠/١٢/١ عن زيارة دكتور يوسف شنكر مدير قسم النساء والولادة في مستشفى هداسا بالقدس لجامعة عين شمس لحضور مؤتمر دولي يعقد بها وانه أُعد له برنامج لزيارة جامعات أخرى والمحاضرة فيها[٥] .

أما الولايات المتحدة « الشريك الكامل » في اتفاقيات كامب ديفيد فقد راحت عبر هيئاتها ومؤسساتها تدفع في اتجاه هذا التعاون وتشجع عليه فرصد الكونغرس الأمريكي في ميزانية عام ١٩٧٩ خمسة ملايين دولار للتعاون الثقافي المباشر بين مصر واسرائيل ثم رُحِّلت الميزانية للعام التالي للفشل في بدء مشروعات ثقافية مشتركة[٦] . ورصدت هيئة التنمية الدولية ٦٠ مليون دولار لتقديمها الى الجامعات ومراكز الأبحاث المصرية وكلفت احدى الشركات الامريكية ابا ايبان بكتابة ٤٢ حلقة تلفزيونية عن الحضارة اليهودية على أن يتم تصوير هذه الحلقات في مواقعها التاريخية أي في مصر واسرائيل[٧] .

وانهالت الدعوات على المثقفين المصريين إلى مؤتمرات في الولايات المتحدة وأوروبا الغربية تعقد تحت شعارات « التعاون الحضاري » و « انفصال العلم عن السياسة » و « اقرار السلام عن طريق المعرفة » ونبتت بشكل شيطاني مفاجيء معاهد ابحاث وهيئات مشبوهة تعقد لقاءات وندوات تضم مصريين واسرائيليين « كنادي البحر المتوسط » و « منظمة الشرق الأوسط »[٨] .

ولم تعدم اسرائيل بين مثقفي مصر من ينخرط الى جانبها في معركة التطبيع تلبية لنوازع انتهازية أو عنصرية أو مصالح طبقية تعميه عن مصالح الوطن . فبعث توفيق الحكيم ببرقية إلى السادات في ٧٩/٥/٦ نشرتها الصحف المصرية في اليوم

التالي ، قال فيها « تحية لموقفكم الراسخ أمام الأقزام . لقد افزعهم صلح الفئتين المتحضرتين بعد اطمئنانهم الى ضعف مصر لتذل تحت أقدامهم ، ما لهم وجهلهم سر المقاطعة والتخريب وخوفهم من قومة مصر بعد الصلح لأنهم يريدونها منهكة القوى بالحروب لتستنجد بهم وتتملقهم فيحتقرونها . الى الامام نحو الكرامة والحضارة . وخطوة من المتحضرين نقابلها بخطوتين ولن ترجع مصر مع المتخلفين للوراء . فالتقدم دائماً لمصر المتحضرة » .

وقبل الدكتور حسين فوزي دعوة إلى جامعة حيفا حيث صرح في مؤتمر صحفي عقده في حيفا في ٢٨ أكتوبر ١٩٧٩ « ان الفراعنة لم يكونوا عرباً وكذلك الشعب المصري » وان « عبد الناصر لم يأخذ التاريخ بعين الاعتبار »[٩] .

وصرح الدكتور رشاد رشدي المدير السابق لأكاديمية الفنون ومقرر شعبة الفنون في المجلس الأعلى للثقافة والذي كان زار السادات برفقة سينمائيين اسرائيليين أن الاسرائيليين يعرضون « مشروعات ممتازة » يجب الا توضع أمامها العراقيل وانهم رصدوا مبالغ كبيرة من المال لانتاج سينمائي مشترك بين مصر واسرائيل عن رسالة السلام وعرضوا ١٢ مليوناً بصفة مبدئية لذلك[١٠] .

وعهدت جريدة الاخبار القاهرية إلى الدكتور ابراهيم البحراوي المتخصص في اللغة العبرية وآدابها والاستاذ بجامعة عين شمس بالاشراف على صفحة اسبوعية تنشر مقتطفات وطرائف من الصحافة الاسرائيلية ونماذج من الأدب العبري الى جانب مقال حول ما يستجد من أمور العلاقة بين مصر واسرائيل .

ولبى الدكتور حسين شعلان استاذ الطب النفسي بجامعة الأزهر والدكتور عادل صادق استاذ الطب النفسي بجامعة عين شمس دعوة لحضور ندوة عقدت في الولايات المتحدة حول موضوع « مقاومة السلام وأسبابه السيكولوجية » شارك فيها اخصائيون نفسيون أمريكيون واسرائيليون . ثم بدأ الطبيبان بعد عودتهما الى مصر في نشر سلسلة من المقالات في مجلة أكتوبر وجريدة الاخبار يرجعان فيها مواقف المعارضة الوطنية الى أسباب نفسية كالاحباط والنكوص والاغتراب وعدم القدرة على التكيف[١١] .

ويكتب محمد حسن معلقاً على المشروع الاسرائيلي للتعاون الثقافي وما يرتكز اليه من إقامةحوار بين المثقفين المصريين والصهاينة :

« وربما يكون الأهم من ذلك (الحوار) الاطار الذي تحاط به هذه اللقاءات . فلقاءات الحكيم وايبان تتم بوصفها امتداداً للقاءات أخرى سابقة على عام ١٩٤٨ وزيارة الدكتور حسين فوزي لاسرائيل تعرض بوصفها الزيارة الثانية له بعد زيارة سابقة قام بها عام ١٩٤٤ بصحبة المرحوم الدكتور طه حسين . وعندما يزور مناحيم ميلسون مصر يناقش على صفحات الجرائد المصرية أعمال الأدباء المصريين ويبرز تذوق المثقف الاسرائيلي لأدب الاستاذ نجيب محفوظ . . . الخ ويعطي ذلك كله انطباعاً بأن ثلاثين عاماً من العدوان الاسرائيلي على أراضينا وحرماتنا لم تكن الا جفوة بين أبناء عم . مجرد « فتق » في نسيج العلاقات الانسانية المنسابة عبر التاريخ بين الثقافتين العبرية والعربية »[١٢] .

ولم يقتصر تبادل الزيارات على العلماء والخبراء والكتاب فعلاقات « حسن الجوار » تتطلب زرع المودة والمحبة في الصغار أيضاً . ولقد ذكرت جريدة هاآرتس الاسرائيلية في ١٩٨٠/١١/٤ أن اتفاقية التعاون في مجال التربية والثقافة والعلوم تنص على تبادل الوفود بين البلدين . كما ذكرت نفس الجريدة في ١٩٨١/٣/٣ أن اتفاقية لتبادل الشبيبة قد وقعت بين مصر واسرائيل بناء على طلب الرئيس نافون من الرئيس السادات وانه تنفيذاً لهذه الاتفاقية سافر إلى اسرائيل وفود شبابية تتراوح أعمار المشاركين فيها ما بين ١٥ و ١٨ سنة وستزور مصر وفود اسرائيلية مماثلة[١٣] .

وتقدم مجلة اكتوبر في عددها الصادر في ١٩٨٢/٢/١٤ تحقيقاً صحفياً تحت عنوان « طلائع السلام عائدون من اسرائيل » ويستهل التحقيق بالمقدمة التالية :

« اذا كان صرح السلام المصري ـ الاسرائيلي قد قارب الاكتمال ، فان الاساس الخرساني الذي هو التطبيع الفعلي للعلاقات يلزمه الحقن . وهو لا يتأتى الا بلقاء الشعبين وهو ما كان في زيارة وفد الطلائع إلى اسرائيل ، وما سيكون » .

زار الوفد الذي ضم ٦٠ من « الطلائع » و ١٥ مرافقاً اسرائيل في الفترة من ٧ إلى ٢٤ يناير وتضمن برنامج الزيارة لقاءات مع الشبيبة الاسرائيلية وزيارة للكيبوتسات والأماكن الأثرية ومتحف الكارثة النازية وبعض المدارس والمصانع الاسرائيلية ووضع أكاليل الزهور على النصب التذكاري للجندي المجهول .

وقالت سحر زهّار (١٦ سنة) ان الاستقبال « كان رائعاً » وقالت عبير عمّار (١٦ سنة) انها وجدت الاسرائيليين « محبين للسلام » وانهم « شعب . . يعتز ببلده ويحاول دائماً اظهارها

بالمظهر اللائق»أما سحر حشمت الطالبة بالمدرسة الالمانية بالدقّي فقالت « زملائي وزميلاتي في المدرسة سعدوا بخبر زيارتي لاسرائيل وتخيلوا أنني سأعود أتحدث بالعبرية » . ووصف الطالب سمير ندا (١٨ سنة) الزيارة بأنها أول خطوة على المستوى الشعبي بين البلدين بعيداً عن المسؤولية ، تأكدنا خلالها أن الغالبية العظمى من الاسرائيليين يريدون العيش في سلام » ثم استطرد قائلاً : « تأثرت للغاية بالاستقبال الرائع والحفاوة التي قوبلنا بها في منزل الرئيس نافون حيث أخذ يستفسر عن انطباعات كل منا بعد زيارة اسرائيل » .

اعادة النظر في مناهج التعليم

وعملاً بالبند الثالث من المادة خمسة من الملحق رقم ٣ للمعاهدة والذي نص على أن « يعمل الطرفان على تشجيع التفاهم المتبادل والتسامح ويمتنع كل طرف عن الدعاية المعادية للطرف الآخر » ، وتنفيذاً لبنود أخرى نجهلها في اتفاقية التعاون في مجال التربية والثقافة والعلوم بسبب سريتها بدأت الحكومة المصرية في اعادة النظر في المقررات والكتب المدرسية وحذف كل ما لا « يتناسب مع السياسة الجديدة . وتشير المواجهة الصادرة عن لجنة الدفاع عن الثقافة القومية في مقال بعنوان « مناهج التعليم تواكب عصر السلام » الى بعض التعديلات التي تمت في الكتب المدرسية المقررة على مختلف المراحل التعليمية والتي منها حذف النصوص الدينية التي تتعرض لبني اسرائيل بأية اشارات سلبية واضافة آيات قرآنية وأحاديث نبوية تدعو للتسامح مع الأعداء .

بمقارنة كتب عام ١٩٧٩ بكتب عام ١٩٨٠ لوحظ حذف كلمة « رمضان العبور » المقررة على الصف السادس الابتدائي وموضوع عن حرب الدبابات من كتاب النحو للصف الأول الاعدادي وموضوع « عهد جديد » في كتاب النحو للصف الثالث الاعدادي وفي هذا الموضوع الأخير ادانة للاعداء ومدح للمصريين على شجاعتهم وحث على العمل والنضال . كذلك حذفت من نفس الكتاب قصيدة « مصر والمعتدون » . وحذفت من موضوع « العبور العظيم » الفقرة التالية : « وانتصرت مصر ولكن المعركة ما زالت مستمرة وستظل كذلك ما دامت بعض المواقع محتلة يدنسها الوجود الاسرائيلي » وحلت محلها هذه الفقرة : « وانتصرت مصر ، وسعت إلى السلام من منطلق القوة ، وما زالت ساعية إليه وستظل كذلك ما دامت مؤمنة بتحقيق آمالها ، وآمال الأمة العربية في سلام عادل وشامل » .

وفي كتاب الجغرافيا المقرر على الصف السادس الابتدائي حذفت الفقرة التالية من الدرس الخاص بفلسطين : « تمكن اليهود والصهاينة بمساعدة الدول الاستعمارية من اغتصاب أرض فلسطين منذ عام ١٩٤٨ ، وشردوا معظم أهلها العرب واستولوا على ممتلكاتهم ، غير أن الفلسطينيين وسائر العرب يعملون على تحرير الأرض وعودة الشعب الفلسطيني إلى وطنه »[١٤] .

الدور الاعلامي في التطبيع

أما بالنسبة لدور الاعلام في عملية التطبيع فلم يقتصر على جعل التصالح مع وجود الدولة الصهيونية واستمرارها ممكناً ولكنه قام بما هو أهم من ذلك وأسبق الا وهو خلق نسق كامل عن الوعي الزائف يجعل هذا القبول تلقائياً وسهلاً .

لقد قام اعلام السلطة المصرية وعلى مدى سنوات بالتركيز على فقر المصريين وثراء العرب ، وتقدم المصريين وتخلف العرب بهدف تحويل الشعور بالظلم الطبقي إلى شعور بظلم اقليمي ، وصرف معادلة فقير ضد غني الى مصري ضد عربي غني وخلط الاعتزاز الشعبي المشروع بتاريخ مصر القديم وانجازاتها الحضارية بتعالٍ عنصري إقليمي آثم كما عمل الاعلام في الوقت ذاته على تشويه فترة الحكم الناصري وارجاع كل مثالب الحاضر ومشاكله الاقتصاديةوالاجتماعيةوالسياسية الى تلك الفترة . ورافق ذلك هجوم شرس على الاشتراكية والاشتراكيين وربط كل آفاق للتقدم بأمريكا « الجميلة » ونهجها الرأسمالي . والتزمت وسائل الاعلام من صحافة واذاعة وتلفزيون بسياسة يومية تقلب الحقائق وتمتهن القيم الوطنية أو تميعها . وضمن هذا السياق تمت زيارة السادات لاسرائيل عام ١٩٧٧ وتم توقيع اتفاقيات كامب ديفيد عام ١٩٧٨ ثم المعاهدة المصرية ـ الاسرائيلية عام ١٩٧٩ .

قبل أيام من زيارة السادات لاسرائيل تكتب جريدة الاهرام القاهرية « قلنا بأعلى الصوت إننا نحن العرب كنا نخاصم العقل عندما سجنا أنفسنا أسرى مفاهيم بالية كانت هذه المفاهيم التي تبدو كبديهيات غير قابلة للنقاش تتعلق بالشكل أكثر مما تتعلق بالمضمون . كنا نرفض الجلوس إلى الاسرائيليين وكان ذلك يأخذ شكل البديهية السياسية . والآن بعد اكتوبر كان هناك عقل عربي أكثر علمانية وأكثر جسارة وأكثر تحضراً . كنا غارقين في سفسطات وهمية ».(الاهرام ١٩٧٧/١١/١٢) .

كان عداؤنا لاسرائيل وتشبثنا بالحق الوطني اذن وهماً

ومشكلة نفسية . أما الآن فنشب عن الطوق « ونعقل » ونبرهن على نضجنا وتقدمنا الحضاري حين نجلس إلى مائدة الصلح وبذلك ، بذلك فقط نتجاوز « الاسلوب العشائري الجاهلي » و « نصبح قطعة من أوروبا » (ثروت اباظة ، الأهرام ١٩٧٧/١١/٢٢) ، ولما عقدت المعاهدة واستفتي الشعب عليها وظهرت النتيجة (المزيفة طبعاً) كانت (كما جرت العادة) ٩٩,٩٠ ٪ موافقين . أما المعارضون فليسوا إلا « قلة حاقدة » و « عناصر مشبوهة » و « عملاء لموسكو » متجرين بقضايا الشعب .

إن الدور المنوط بأجهزة الاعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية في مرحلة تطبيع العلاقات شامل ومتنوع وهو يمتد من اذاعة القرآن الكريم حيث تم حظر اذاعة الآيات التي تتعرض لبني اسرائيل بشكل سلبي وتلك التي تدعو للحرب إلى التمثيليات التي لا تتناول الا النسخة المعدلة من الصراع العربي الاسرائيلي الى المواضيع والمقابلات عن هذا الكاتب الاسرائيلي أو ذاك . وتقدم جريدة الاخبار كما سق وأشرنا صفحة كاملة كل أسبوع بها أخبار وطرائف منقولة عن الصحافة الاسرائيلية ونماذج مترجمة من الأدب العبري . أما مجلة اكتوبر الالصق بالنظام الحاكم فقد كانت ولا تزال منبراً أسبوعياً لأكثر الأفكار تخلفاً وانحطاطاً ولسياسة التطبيع أيضاً . وفي عدد واحد مثلاً كالعدد الصادر في ١٤ فبراير الماضي نطالع تحقيقاً صحفياً عن زيارة وفد من الشباب المصري لاسرائيل ، وخبراً عن افتتاح وزير الثقافة المصري لمعرض للفنانين التشكيليين المصريين في اسرائيل يضم لوحات لمحمود سعيد . وعلى الغلاف اعلان عن مسابقة جوائزها « شقق تمليك ، جهاز العروسة ، حفل زفاف مجاناً ، شهر عسل مجاناً » وتحمل المجلة في صفحتها الأولى السؤال الأول في المسابقة : « من هو مطرب مصري مسلم جاء أحفاده من اسرائيل ليروه لأول مرة » .

تحت هذا العنوان تعلن المجلة عن « أضخم مسابقة في تاريخ الصحافة المصرية » ثم تستطرد : « الحلقة الأولى سؤال عن مطرب مصري تزوج ضمن زيجاته الكثيرة بيهودية من يافا . وقطعت حرب فلسطين العلاقة بينهما وبعد مبادرة السلام جاء أحفاده اليهود لزيارته » .

والمطلوب طبعاً في منطق المجلة ومن تمثلهم أن يشعر القارىء برفع هذه الحرب التي فرقت بين مصر واسرائيل في شخص الجد وأحفاده وان يبصر أن العلاقة بين البلدين ليست علاقة عداء أو حتى جيرة ولكنها علاقة قرابة دم ، ومطلوب أخيراً أن يفرح القارىء وتقر عينه بهذا السلام الذي أعاد كل الأمور الى نصابها .

مقاومـــة

بالرغم من هيمنة وسائل الاعلام المصرية وترويجها للصلح ولسياسة التطبيع المرتبطة به الا ان الأصوات قد ارتفعت منذ اللحظة الأولى ترفض هذه السياسة وتحذر من مخاطرها على حاضر البلاد ومستقبلها . وأصدرت الأحزاب والهيئات الوطنية بيانات تعلن فيها معارضتها ومقاطعتها للوجود الاسرائيلي على أرض مصر .

ولقد رفض المعاهدة اليسار المصري بجميع فصائله المنظمة ممثلة في حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي والحزب الشيوعي المصري ، وحزب العمال الشيوعي ، و ٨ يناير . كما رفضها الناصريون واصحاب الاتجاه الاسلامي واعضاء مجلس قيادة ثورة ٢٣ يوليو . أما البابا شنوده بابا أقباط مصر الذي عزله السادات في سبتمبر الماضي فرغم أنه لم يعارض المعاهدة في مجملها الا انه أصدر « حرمان » (أي تجريداً من الانتماء للكنيسة) على أي قبطي يزور القدس معلناً بذلك عن رفضه القاطع للتطبيع . وفي الذكرى الأولى لفتح سفارة اسرائيلية في القاهرة أعلن حزب العمل سحب موافقته على اتفاقيات كامب ديفيد وما ترتب عليها واعلنت عدة نقابات وتجمعات شعبية رفضها للتطبيع ورفعت شعار المقاطعة منها نقابات المحامين والصحفيين والأطباء والصيادلة والبيطريين وشعبة الهندسة الكيمياوية والنووية بنقابة المهندسين والاتحاد العام للعمال ونقاباته العامة ، واتحاد طلاب الجمهورية واتحاد نقابات المهن الفنية (المهن السينمائية والممثلين والموسيقيين) ولجنة مقاطعة السينما الصهيونية وجمعية النقاد ، ومؤتمر نوادي أعضاء هيئات التدريس بالجامعات المصرية ، ولجنة الدفاع عن حقوق الانسان بالدقهلية ، ولقد عبر العديد من كتاب مصر ومثقفيها عن رفضهم لذلك الانقلاب في علاقة مصر بالدولة الصهيونية مما دعا الياهو بن اليسار أول سفير باسرائيل في مصر والذي أطلقت عليه الصحافة الاسرائيلية « سجين المقاطعة الشعبية المصرية » للتصريح التالي قبل مغادرته للقاهرة :

« ان المثقفين المصريين لم يغفروا لنا مجيئنا وكوننا في مصر ، وهم لا يعارضون السلام بل ينشدونه ولكنهم كانوا يفضلون أن يكون هذا السلام مع أي كيان غير محدد ، مع القطب الشمالي مثلاً ، ومن الصعب عليهم حتى الآن أن يسلموا بأن السلام قد تم توقيعه مع اسرائيل . ان المثقفين المصريين لم يغفروا لنا وجودنا وكياننا ، وهم عندما يرون علماً اسرائيلياً فانهم يشعرون بأن هذا العلم يأكلهم »[١٥] .

لجنة الدفاع عن الثقابة القومية

تعمل هذه اللجنة ذات الصفة الجبهوية والمكونة من اعضاء حزبيين وغير حزبيين داخل اطار حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي . ولقد تكوت عقب مؤتمر للمثقفين المصريين دعا له حزب التجمع في ٣١ مارس ١٩٧٩ أي على اثر توقيع المعاهدة المصرية ـ الاسرائيلية . استهلت اللجنة أعمالها ببيان بعنوان « نداء دفاعاً عن الثقافة القومية » أوضحت فيه المخاطر المترتبة على تطبيع العلاقات مع اسرائيل ومن أبرزها ضياع هوية مصر الحديثة المتركزة الى منطلقات وطنية تحررية وعزل الثقافة المصرية عن سياقها العربي . وقال البيان ان المثقفين المصريين مطالبين بحماية تراثهم الوطني والدفاع عن ثقافتهم بكشف هذه المخططات والتصدي لها ورفض كل أشكال التبعية وتمكين رجال الدين من القيام بدورهم النضالي التقليدي والوقوف في وجه تشويه تاريخ البلاد وتراثها الروحي وتأكيد الوحدة الوطنية . كما طالب البيان بالغاء كافة القوانين المقيدة للحريات ودعا إلى تشكيل هيئات للدفاع عن الثقافة القومية[١٦] . وكان أول ما أصدرته اللجنة من مطبوعات كراسة بعنوان « حوار آخر مع توفيق الحكيم حول العرب والصهيونية » ، وذلك ايماناً منها بأن « الخطر يكمن في الداخل أكثر مما يكمن في الخارج ، وهو يأتي على وجه الخصوص ممن يروجون للمنطلقات الفكرية للاستعمار والصهيونية سواء عن وعي أو بلا وعي »[١٧] .

ثم أصدرت اللجنة كراسة أخرى تحتوي على بيان بعنوان (لا للصهيونية) جاء فيه ان « المثقف المصري مطالب اليوم أن يختار بين انتمائه الوطني والقومي وبين التنكر لوجوده ولكيانه وهويته وتراثه القومي وتاريخه النضالي التحرري ولكل المنطلقات التي ارتكزت عليها ابتكاراته وابداعاته ومنجزاته الفكرية والفنية والتقنية ، والقاعدة العريضة (المقصود الشعوب العربية) التي احتضنت وما زالت تحتضن بامتنان عميق هذه المنجزات .

« ان المثقف المصري مطالب بالاختيار بين أن يكون أو لا يكون وقد اختار فعلاً متبنياً سلاح المقاطعة » .

وأوضح البيان ارتباط الاستراتيجية الصهيونية الامبريالية في المنطقة بايجاد « طبقة مصرية . . . ترتبط مصالحها الاقتصادية ارتباط عضوياً بالمصالح الصهيونية والاستعمارية . . . وفئة من المثقفين المصريين قادرة على التأثير على الرأي العام وعلى تحوله لتقبل الوضع » كما أوضح الدور الذي تقوم به المراكز الثقافية العربية والهيئات المشبوهة من أمثال هيئة التنمية الأمريكية ومشاريع الابحاث التي تتم تحت اشراف هذه الهيئات .

وأضاف البيان أن المقاطعة « لا تعني السلبية في وجه المخططات بل تعني الحفاظ على كل منطلقاتنا الوطنية والقومية والتحررية والترويج لها وترسيخها في ضمير . شعبنا ، وتعني التصدي لدحض هذه المخططات أولاً بأول. ولكن هذا التصدي لا يعني بحال الوقوع في الفخ الصهيوني الذي يتلخص في عبارة « تعال الينا وخذ رأيك بحرية اذ أن المؤسسة الصهيونية تلهث وراء الاتصال بالمثقفين المصريين من كل الاتجاهات والتيارات الفكرية وتحرص على أن تنال أول ما تنال من أشرفهم وأكثرهم صلابة وقومية ووطنية لادراكها أنهم يشكلون الطليعة الحقة والدرع القومي والحصن الذي يصعب اختراقه »[١٨] .

كما أصدرت اللجنة بعد ذلك كراسين آخرين هما « النشاط الثقافي الأجنبي في مصر » و « المثقفون المصريون ضد الجامعة العبرية » . ونشرة غير دورية باسم « المواجهة » صدر منها عددان .

ومن الجدير بالذكر أن جملة الاعتقالات التي شنها نظام السادات على المعارضة في سبتمبر الماضي قد شملت رئيسة اللجنة الدكتورة لطيفة الزيات ومعظم أعضائها البارزين ولم يفرج عنهم الا بعد ثلاثة أشهر .

المعرض الدولي للكتاب : القاهرة ٨١ ، القاهرة ٨٢

على مدى العامين الأخيرين كان معرض القاهرة الدولي للكتاب مسرحاً للمواجهة بين المثقفين المصريين والوجود الاسرائيلي في مصر . في المعرض الثالث عشر ، العام الماضي ، لم تتمكن اسرائيل بسبب جهود بعض القائمين على هيئة الكتاب من أن يكون لها جناحها الخاص بها ولكنها استطاعت أن تفرض وجودها كجزء من جناح مكتبة « هاشيت » التي يملك صاحبها توكيل دور النشر الاسرائيلية في مصر . قاطع المثقفون المصريون الجناح وقاموا بتوزيع آلاف الشارات التي تحمل اعلام فلسطين « يقدر عدد الشارات التي وزعت في اليوم الأول للمعرض بعشرين الف شارة » كما وزعوا بياناً يدعو إلى عدم دخول جناح امكو في المعرض ويطلب من دور النشر المصرية والعربية رفع العلم الفلسطيني على اجنحتها . ووقع البيان ممثلون عن حزب التجمع وحزب العمل نقيب الصحفيين وعضو من مجلس نقابة المحامين وصاحب دار نشر الثقافة الجديدة وصاحب دار الموقف العربي وعضو من مجلس ادارة الفنانين والكتاب ولجنة الدفاع عن الثقافة القومية .

ورغم ان مباحث أمن الدولة القت القبض على الكاتبين التقدميين حلمي شعراوي وصلاح عيسى فقد استمر توزيع اعلام فلسطين والبيان وتجمهر مئات المواطنين وراحوا يهتفون ضد الصهيونية والعدو الاسرائيلي[١٩] .

كذلك قدم عدد من المثقفين المصريين للتحقيق لتوقيعهم على البيان كان من بينهم كامل زهيري نقيب الصحفيين والمحامي البارز نبيل الهلالي عضو مجلس نقابة المحامين الذين اتهما « بالقيام بعمل عدائي ضد دولة اجنبية من شأنه التهديد بقيام الحرب أو قطع العلاقات السياسية » .

أما هذا العام فلقد شاركت اسرائيل في معرض القاهرة الدولي للكتاب بجناح خاص بها يعلوه العلم الاسرائيلي . وأصدرت لجنة الدفاع عن الثقافة القومية عدداً خاص من المواجهة فيه بيان بعنوان : «لا للكتاب الاسرائيلي في معرض الكتاب الرابع عشر » حثت فيه المواطنين على مقاطعة الجناح الصهيوني بالمعرض . . وجاء في البيان : « . . . ليس الصراع العربي ـ الاسرائيلي مجرد حاجز نفسي تزيله الزيارات المتبادلة ، ولكنه في الاساس وعلى طول المدى صراع بين الشعوب العربية المتعطشة للتحرر والتقدم والرخاء ، وبين الاستعمار الذي يريد احتلال الأرض والسيطرة على ارادة ومقدرات الشعوب العربية ، ودفعها إلى مزيدٍ من التخلف » . واكد البيان أن ارتباط الشعب المصري بباقي الشعوب العربية وفي مقدمتها الشعب الفلسطيني « ليس ارتباطاً عاطفياً أو وجدانياً فحسب ، لكنه في الحقيقة ارتباط مصيري تحتمه المصالح الاساسية والجوهرية لكل الشعوب العربية بما فيها الشعب المصري »[٢٠] .

ولقد رفع التجمع على مقره المركزي بوسط القاهرة لافتات كتب عليها « قاطعوا الجناح الاسرائيلي في معرض الكتاب » « لا للثقافة الصهيونية » . « قاطعوا البضائع الاسرائيلية » . كما أقام التجمع في الوقت نفسه أسبوعاً للكتاب الفلسطيني ومهرجاناً للشعر والأغاني النضالية ورفعت الاعلام الفلسطينية على مركز الحزب[٢١] .

صحافة الفقراء وابداعاتهم

لم تقتصر مقاومة المثقفين المصريين على العمل السياسي بل اتخذت تعبيراً لها في انتاجهم الفكري والابداعي . فشهدت السنوات الأخيرة صدور عدد من المجلات غير الدورية أغلبها على شكل كراسات تعد بأبسط الوسائل والتكاليف وتباع بأثمان زهيدة نسبياً . وكان اصدار هذه الكراسات التي لا تخضع لقانون الرقابة على المطبوعات هو احدى الوسائل التي حاول الكتاب من خلالها كسر العزلة المفروضة عليهم من قبل السلطة وهيمنتها على وسائل النشر .

إن هذه الصحافة التي أطلق عليها صلاح عيسى « صحافة الفقراء » والمطبوعة بقروشهم القليلة تشكل ملمحاً رئيسياً من ملامح العمل الثقافي الوطني في مصر الآن . ولقد ظهرت على مدى السنوات الأربع الأخيرة . **الفكر المعاصر** و **الثقافة الوطنية** و **آفاق ٧٩** و **مصرية** و **أبجديات وبديهيات** و **الشارع** و **أدب الجماهير** و **لقاء الأربعاء** و **أصوات** و **أدب المستقبل** و **النديم** و **خطوة** و **المواجهة** وغيرها .

وفي السنوات الأربع الأخيرة أيضاً صدر عدد من الأعمال الابداعية التي تتسم بمناهضة سياسة التبعية للامبريالية والصهيونية وقمع الحريات . منها « **اللجنة** لصنع الله ابراهيم **وذكر ما جرى و** « نوبة حراسة » لجمال الغيطاني و **يحدث في مصر الآن** و **الحرب في بر مصر** لمحمد يوسف القعيد و **المشروع والممنوع** لعبد الرحمن الابنودي و **صندوق الدنيا** وهو شريط مغنى من تأليف احمد فؤاد نجم وتلحين وغناء الشيخ امام عيسى .

ويلاحظ أن أبرز هذه النصوص تعبر عن واقع مصر الحالي وتفضح أبعاده بخلق واقع مواز عبر المحاكاة التعبيرية التهكمية أو الفنتازية ففي رواية « اللجنة » (١٩٨١) تكشف المواجهة بين اللجنة والراوي عن العلاقة الكابوسية بين السلطة القمعية والمواطن . تمد اللجنة أذرعها الاخطبوطية لتسحق المواطن بعد أن تمتهنه وتعريه من انسانيته . والراوي هو المواطن المستكين والعاجز، القابل بالأمر الواقع بل والمستعبد ثقافياً إلى حد ترديد كل مقولات مستعبديه بما فيها أن الهرم الأكبر صممه وبناه عبرانيون[٢٢] .

وفي قصة « ما جرى لأرض الوادي » (١٩٧٠) يترجم الغيطاني التفريط في استقلال البلاد الاقتصادي والسياسي الى بيع فعلي لأرض مصر ، يباع نيلها وأرضها وهواؤها حتى يصبح سكان البلاد « سكاناً أصليين » يتجمعون في فدان واحد هو كل ما تبقى لهم من الأرض ومن هذا الفدان المسمى « بأرض مصر المحروسة » تبدأ المقاومة [٢٣] .

أما الصورة المعادلة للواقع الراهن في قصة « العرق في البر » المكتوبة في نوفمبر ١٩٧٧ فتتخذ شكل طفح مياه المجاري بما يهدد كيان المدينة . تكثر احداث الغرق في البر وتحاصر البيوت ببحيرات المياه الراكدة العطنة .

« في تلك الليلة جاءت الاخبار . . . بغرق الحديقة الوحيدة المتبقية في العاصمة اختفت الحشائش والزهور ، والمقاعد الحجرية ، والطرقات الضيقة المرصوفة بالزلط الملون ، كما تشققت مباني المصالح الحكومية ، وظهر شرخ يتسع لمرور لرجل البالغ في واجهة مبنى السنترال الفرعي ، ومن فناء ادارة حفظ الوثائق القديمة .

أما تراث الشعب وثقافته فسوف تفرز وتغربل لتسويد أكثر مظاهرها سلبية وطمس ملامحها الأكثر اشراقاً . وسوف تشجع الروح الأبوية المناقضة لروح التمرد والثورة ويشاع مناخ معاد للعقل والعقلانية وتصدر الخرافة ، ويطمس ذلك الخيط الرفيع الفاصل بين الوطنية والاقليمية الضيقة ، ويشكك في المسلمات والمنجزات الوطنية . وسوف يقال مرة وألف مرة ان الاستعمار فعل ماض وان الصراع من سمات مرحلة تعديناها واننا الآن في عصر وئام الاسرة الواحدة ، عصر السلام .

إن الثقافة الوطنية مجموع القيم والأفكار والعادات والابداعات التي انتجها الشعب عبر مسيرته هي ثمرة لتاريخه تعكس واقعه المادي والفكري بقدر ما تلعب دوراً هاماً في تحديد مسيرة هذا التاريخ وليست هذه الثقافة جامدة أو أبدية الملامح بل لها من صفات الجسد الحي القدرة على التغير والتطور والنمو .

ان الثقافة الوطنية هي هوية الشعب المكتسبة عبر تاريخه . ولما كان الاستعمار نفياً للمسار التاريخي للشعب بتعطيل قواه الانتاجية فان هناك تناقضاً بين الوجود الاستعماري في بلد من البلدان وازدهار ثقافته الوطنية ويوضح اميلكار كابرال قبل استشهاده شيئاً من ابعاد هذه العلاقة بقوله « ان ممارسة السيطرة الامبريالية وكل سيطرة اجنبية تفرض كعامل استقرار (لها) الاضطهاد الثقافي ومحاولة التصفية المباشرة وغير المباشرة للمعطيات الاساسية لثقافة الشعب المستعمَر »[٢٥] . ويعلمنا تاريخ الغزوات الاستعمارية في افريقيا و « العامل الجديد » كيف كان تحطيم الهياكل الثقافية الفاعلة خطوة مواكبة ومساعدة لعملية الغزو العسكري . ويؤكد فانون في بحثه عن « العنصرية والثقافة » ان الغازي بعد تدمير الأنماط الاجتماعية للسكان الاصليين يعرض عليهم مجموعة جديدة من القيم ويفرضها قسراً « بقوة المدافع والسيوف » وحين يشاهد أهل البلاد سقوط ثقافتهم يشعرون بالذنب والدونية ويحاولون الهرب بانتمائهم غير المشروط الى النماذج الثقافية الجديدة بادانة انماطهم الثقافية الاصلية[٢٥] . ان عملية اشعار الجماهير بالدونية هي المقدمة الأولى لاستعباد ثقافي يتمثل في نظرتها إلى نقيضها باعجاب قد يصل إلى حد التوحد ويوضح فانون كيف أن هذه العملية تمر عبر تحطيم التكامل النفسي والعملي لابناء المستعمرات . ويضرب مثلاً بعلاقة اطفال بلاده من السود والهنود بصورتهم في مجلات الاطفال والافلام السينمائية حيث يقدم الاسود أو الهندي دائماً كنموذج للشر والتوحش .

وبما أن المشاهد يتوحد دائماً المنتصر فان الزنجي الصغير وبنفس السهولة التي يتقمص بها الطفل الأبيض هذا الدور يصبح كاشفاً ومغامراً ومبشراً يواجه مخاطر ان يأكله الزنوج الاشرار »[٢٦] . وكهؤلاء الاطفال تماماً نجد « الطلائع » العائدين من اسرائيل يتحدثون عن تقدم اسرائيل وحفاوتها بهم وكرمها معهم . لقد اكتملت من حولهم دائرة الاستعباد الثقافي وصاروا يتطلعون إلى عدوهم كجوهر للخير والرقي .

ومع ذلك فلسنا في القرن الثامن عشر أو التاسع عشر حيث التناقض بين غزاة وسكان أصليين وليس كل من يتوحد بالغزاة فاقداً لتكامله العقلي من جراء عملية غسل مخ فمن غسل لتوفيق الحكيم مخه ؟ ان بنية التبعية القائمة في مصر اليوم تفرز شرائح طبقية صاحبة مصلحة في الارتباط بالغزاة والحفاظ على وجودهم . وكما قال محمود أمين العالم :

« إن المحنة الثقافية التي نشهدها اليوم في مصر ليست مجرد غزوة صهيونية ثقافية وافدة من الخارج فحسب بل هي بنية ثقافية ، ايديولوجية داخلية افرزتها وتفرزها الهياكل السياسية في مصر اليوم ، تكريساً واعادة انتاج لهذه الهياكل نفسها . وهذه البنية الثقافية والايديولوجية المهيمنة هي التي تمهد السبيل لاستقبال الثقافة الامبريالية والصهيونية بل واستنباتها »[٢٧]

الهجوم قائم ، والغزاة والطغاة حليفان في المعركة والهدف من الغزو ليس تدمير الثقافة الوطنية بل الوجود الوطني ذاته . إن الثقافة الوطنية مستهدفة بالقدر الذي تشكل فيه درعاً للوجود الوطني وحائلاً دون تدميره ولأن الثقافة الوطنية بها مواطن قوة ومواطن ضعف ، عوامل جمود وتراجع فان الطغاة والغزاة لا يعدمون استعلال بعض ملامحها . وكما ان قوى الثورة تقوم بتحليل انتقائي للقيم الثقافية الصالحة للنضال فان قوى الثورة المضادة سوف تقوم هي أيضاً بعملية انتقائية للقيم الثقافية الصالحة لاعاقة المسيرة التاريخية وخلق مناخ ثقافي يجعل استتباب وجودها ممكناً .

ثم نصل إلى الابعاد الحقيقية لسياسة تطبيع العلاقات بين مصر واسرائيل ان المقصود بالتطبيع هو جعل كل مرفوضات الشارع الوطني في مصر أموراً مقبولة ولا يقتصر الأمر على النظر إلى العلم الاسرائيلي المرفرف فوق مبنى بشارع محيى الدين أبو

العز بالقاهرة كشيء عادي بل يتجاوزه ليشمل كل مظاهر الهيمنة الصهيونية والامبريالية التي دفع شعب مصر عشرات الآلاف من الشهداء على مدى تاريخه الحديث لدرئها عنه . وفي سياق التطبيع يصبح الحديث عن السلام عادياً في الوقت الذي تقصف فيه الطائرات الاسرائيلية الشعبين الفلسطيني واللبناني وتمر المناورات العسكرية الأمريكية على أرض مصر بدون مظاهرات احتجاج . ولن يبدو صادماً ان يعلن الرئيس مبارك انه اذا حاربت سوريا اسرائيل فلا علاقة لمصر بالأمر ويبدو امتناع مصر عن التصويت في الامم المتحدة بادانة اسرائيل على ضم الجولان أمراً « طبيعياً » وهكذا يكون معنى التطبيع شطب حقب كاملة من نضال مصر الوطني واسقاط الهوية الثقافية المكتسبة عبر هذا النضال أو كما قالها عبد الرحمن الابنودي في قصيدة « بوابات العالم الثالث » :

من نضال مصر الوطني واسقاط الهوية الثقافية المكتسبة عبر هذا النضال أو كما قالها عبد الرحمن الابنودي في قصيدة « بوابات العالم الثالث » :

يا مـوج قيامتـك قامـت
طيرة غريبـة حامـت
وقلبت المـوازيـن
العار بقـي فيه نظـر
وفكـرة الأوطـان . . .
لازم نأخذهـا بحـذر
الزيـن أصبـح شيـن
والشيـن أصبح زيـن
يا ليـل واخذنـي لفيـن ؟؟[٢٨] .

والمشروع الاسرائيلي للتطبيع ، تماماً كالمشروع الاسرائيلي « للسلام » مطروح على كافة الدول العربية . والهدف ليس مجرد نزع العداء تجاه اسرائيل بتغيير اتجاهات الرأي العام العربي والذي يمر بالضرورة عبر الانسلاخ عن السياق النضالي والثقافي لمعسكر التحرر الوطني فاسرائيل تريد مجالاً حيوياً لمشروع تفوقها العنصري وهيمنتها السياسية والاقتصادية .

وما العمل ؟

سلاح الغزاة والطغاة تزييف الوعي وسلاحنا كشف الحقائق . القمع وسيلتهم والديمقراطية سبيلنا . ان الديمقراطية كمفهوم وممارسة ترتبط بطموح الجماهير الشعبية في التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي وهي الوسيلة التي لا بديل عنها لصد العدوان (الخارجي / الداخلي) والاسراع بالعملية التاريخية ، ان النضال من اجل الغاء القوانين المقيدة للحريات ، قانون حماية الوطن والمواطن (١٩٧٧) قانون حماية الجبهة الداخلية والسلام الاجتماعي (١٩٧٨) قانون حماية القيم من العيب (١٩٨٠) . . . الخ - هذا النضال يكتسب الأولوية . وكذلك فان المطالبة بحق الجماهير في حرية التعبير والتنظيم أصبح من اكثر الأمور الحاحاً . وربما ساعد في انتزاع هذا الحق التوسع في انشاء لجان للدفاع عن الديمقراطية وحقوق الانسان ، ولجان للدفاع عن الوطن وثقافته النضالية ، وربما حتى لجان للدفاع عن اللغة وحمايتها مما تتعرض له من امتهان يومي باستخدام مفرداتها مفرغة من دلالاتها الحقيقية .

الهجمة تترية . . . والخراب محيق . . . وليس من سبيل للمواجهة إلا بالعمل الديمقراطي .

الهوامش

(١) **اتفاقية السلام : النصوص الكاملة للاتفاقية وملحقاتها ، ملحق الاهرام الاقتصادي** (١٠ ابريل ١٩٧٩) .

(٢) هند أبو شرار « تطبيع العلاقات بين مصر واسرائيل في المجالات الثقافية والاقتصادية- شؤون فلسطينية ١١٦(يوليو ١٩٨١) ، ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(٣) محمد حسن ، **مصر في المشروع الاسرائيلي للسلام** ، دار الكلمة ، بيروت ١٩٨ ، ص ١٠٨ - ١٧٢ .

(٤) هند أبو شرار ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٤٦ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٤٤ .

(٦) لجنة الدفاع عن الثقافة القومية ، **لا للصهيونية** ، حزب التجمع الوطني القومي الوحدوي ، د . ت ، ص ٦ .

(٧) محمد حسن ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٧٨ .

(٨) **المواجهة** ١ (يولية ١٩٨١) ص ١٨ .

(٩) مذكور في « عروبة مصر حقيقة موضوعية » سميح القاسم ، **اليسار العربي** ، ١ ديسمبر (١٤ ديسمبر ١٩٧٩) .

(١٠) « الغزو السينمائي » ، **المواجهة** ، ١ ، ص ١٢ و ١٥ .

(١١) « ورقة الجبهة الوطنية المصرية إلى المؤتمر الاستثنائي لوزراء الثقافة العرب لمجابهة الغزو الثقافي الصهيوني « **اليسار العربي** » ، ٢١أغسطس ١٩٨٠) ص ٢٩ - ٣٠ .

(١٢) محمد حسن ، مصدر سبق ذكره ص ١٧٨ .

(١٣) مذكور في « تطبيع العلاقات بين مصر واسرائيل » مصدر سبق ذكره ، ص ١٤٦ .

(١٤) « مناهج التعليم تواكب عصر السلام » : (مصر والمعتدون) تتحول إلى (ذكريات عن مصر) ، **المواجهة** ١ ص ١٢ - ١٣ .

(١٥) مذكور في : « عامان في مواجهة التطبيع والغزو » المصدر السابق ، ص ١٧ .

(١٦) « نداء دفاعاً عن الثقافة القومية » **حوار آخر مع الحكيم حول العرب والصهيونية** ، حزب التجمع التقدمي والوحدوي ، د . ت .

(١٧) المرجع السابق ، ص ١ .

(١٨) **لا للصهيونية** ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٧ .

(١٩) **التقدم** (نشرة غير دورية يصدرها حزب التجمع) ٧٣ (١ فبراير ١٩٨١) ص ١ - ٥ .

(٢٠) المواجهة ٢ (٢٨ يناير ١٩٨٢) .

(٢١) صنع الله ابراهيم ، اللجنة ، دار الكلمة ، بيروت ، ١٩٨١ .

(٢٢) جمال الغيطاني ، **ذكر ما جرى** ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ١٩٧٨ .
(٢٣) المصدر السابق .
(٢٤) اميلكار كابرال ، « التحرر الوطني والثقافة » ، ترجمة منصور أبو القاسم **فلسطين الثورة** (يناير ١٩٧٦) .
(٢٥) فرانز قانون « العنصرية والثقافة » بحث مقدم إلى المؤتمر الأول للكتاب والفنانين الزنوج الذي انعقد في باريس عام ١٩٥٦ . والبحث منشور ضمن أبحاث المؤتمر في عدد خاص من **بريز يونس افريكان** .

(٢٦) فرانز قانون ، **بشرة سوداء أقنعة بيضاء** ، باريس ، ١٩٥٢ ، (غير مترجم إلى العربية) .
(٢٧) من كلمة محمود أمين العالم في المؤتمر الاستثنائي لوزراء الثقافة العرب ، **اليسار العربي** ، ٢١ (اغسطس ١٩٨٠) ، ص ٢٨ .
(٢٨) عبد الرحمن الابنودي ، **المشروع والممنوع** ، دار الأدب والثقافة ، بيروت ١٩٧٨